المقدمة الرابعة

فى الميزان الصرفى

حروف الميزان ـ كيفية الوزن
الحذف من الموزون ـ قلب الموزون

لكل أهل صناعة مِعْيَارٌ يقابلون به ما يُعْرَضُ عليهم مما يدخل فى صناعتهم ، ولما كان نظر علماء التصريف إلى الكلمة إنما هو من جهة حروفها التى تتألف منها ، ليعرفوا أصالتها أو زيادتها ، ومن جهة هيئة هذه الحروف وضَبْطها على أية صورة كانت — اضطرهم ذلك إلى اتخاذ معيار من الحروف سَمَّوْهُ «الميزان» ، والتزموا فيه أن يتشكل بنفس الشكل الذى عليه الموزون : من حركة أو سكون ، أو تقديم وتأخير ، ثم نظروا فإذا الكلمات التى تدخل تحت أبحاثهم — وهى الأسماء المتمكنة ، والأفعال المتصرفة — لا تقلُّ حروفُها الأصولُ عن ثلاثة أحرف إلا لعلة ، ولا تزيد عن خمسة أحرف ، فألَّفُوا الميزان من ثلاثة أحرف ؛ لأن الكلمات الثلاثية أكثر من غيرها ، ولأنهم لو جعلوه مؤلفاً من الخمسة لكانوا بصدد أن ينقصوا منه حرفاً أو حرفين إذا حاولوا زِنَةَ كلمة رباعية أو ثلاثية[1] ، وقد آثَرُوا أن يَجْعَلُوا الميزان ثلاثة أحْرُفٍ ثم يزيدوا على ذلك إذا وزنوا رباعيا أو خماسيا ، ورَأَوْا أن ذلك خير من أن يجعلوه على خمسة أحْرُفٍ ثم ينقصوا منه إذا وزنوا رباعيا أو ثلاثيا .

(١) فإن قلت : لقد كانوا بصدد أحد أمرين فإما أن ينقصوا من الخمسة ، وإما أن يزيدوا حرفا أو حرفين على الثلاثة إذا حاولوا زنة كلمة رباعية أو خماسية ، فلماذا تخيروا أن يكون الميزان ثلاثيا مع هذا ، ولم يجعلوه خماسيا ويلتزموا نقصانه ؟ قلت : أما أولا فلأنهم لاحظوا الأكثر فى الكلمات العربية المستعملة وهى الثلاثية ، وأما ثانيا فلأن الزيادة أصل والنقصان فرع ، فالتزموا مايؤدى إلى الأصل ، واجتنبوا مايؤدى إلى الفرع .

وجعلوا هذه الحروف الثلاثة « ف ع ل » ليأخذوا من كل مخرج حرفاً ، ولأن الفعل أعَمُّ الأحداث ؛ إذ يصدق على كل حَدَثٍ أنه فعلٌ ، وقد سَمَّوْا لذلك الحرفَ المقابلَ للفاء فاءَ الكلمة ، والحرفَ المقابل للعين عَيْنَ الكلمة ، والحرفَ المقابل للام لامَ الكلمة ؛ فكاف « كَتَبَ » مثلا — هى فاء الكلمة ، والتاء عين الكلمة ، والباء لام الكلمة ، وهكذا ، ويلتزمون شكل الميزان بنفس حركات الموزون وسكناته[1] ، فيقولون: كَتَبَ على وزن فَعَلَ ، وفَهِمَ على وزن فَعِلَ ، وكَرُمَ على وزن فَعُلَ ، وإبِلٌ على وزن فَعِلٍ ، وقُفْلٌ على وزن فُعْلٍ ، وضَرْبٌ على وزن فَعْلٍ . وهَلُمَّ جَرًّا .

وإذا كانت الكلمة على أكثر من ثلاثة أحرف ؛ فإنها على ثلاثة أقسام :

الأول : أن تكون الزيادة فيه من أصوله ، وهذا النوع يُوزَنُ بهذا الميزان مع زيادة لامٍ ثانيةٍ إن كانت الكلمة رباعية ، فتقول فى نحو جَعْفَرٍ : إنه على وزن فَعْلَلٍ ، وفى دِرْهَم : إنه على وزن فِعْلَل ، وفى قِمَطْرٍ : إنه على وزن فِعَلّ ، وكذا تقول فى نحو « سَرْهَف ، ودَحْرَجَ ، ونَرْجَس » : إنها على وزن فَعْلَلَ ، وتزيد فى الميزان لامين إن كانت الكلمة على خمسة أحرف ، وذلك فى الأسماء خاصة ، فتقول فى « سَفَرْجَلٍ » : إنه على وزن فَعَلَّلٍ . وهلم جرا .

الثانى : أن تكون الزيادة ناشئة عن تكرير حرفٍ أصلى ، سواء أكان ذلك التكرير للالحاق ، نحو : جَلْبَبَ — فإن الباء الثانية زيدت لإلحاق هذه الكلمة بنحو دَحْرَجَ — أم كان التكرير لغير الإلحاق : كتكرير العين فى نحو « هَذَبَ ، وقَطَّعَ ، وقَدَّمَ » وهذا النوع يُوزَنُ بهذا الميزان مع تكرير اللام أو العين ، فتقول فى نحو « جَلْبَبَ ، وشَمْلَلَ ، ونَرْجَسَ » : إنها على وزن فَعْلَلَ ، وتقول فى نحو « قَطَّعَ ، وقَدَّمَ » : إنهما على وزن فَعَّلَ ، ولا يؤتى فى الميزان بنفس

(١) وبهذا فارق الوزن العروضى ، لأن العروضيين يزنون الحركة بالحركة مطلقا .

الحرف المزيد ؛ فلا يقال فى « جَلْبَبَ » : إنه على وزن فَعْلَبَ ، ولا فى « قَطَّعَ » : إنه على وزن فَعْطَلَ ، وغَرَضُهم بذلك التنبيهُ على أن الزيادة حصلت بتكرير حرفٍ أصلى عينٍ أو لامٍ .

الثالث : أن تكون الزيادة غير أصلية ، ولا ناشئة عن تكرير حرف أصلى ، وهذا القسم يُوزَنُ بهذا الميزان مع إيراد الزائد فيه بعينه ؛ فتقول فى « كاتب ، وقائم ، وفاهم » : إنها على وزن فَاعِل ، وتقول فى نحو « منصور ، ومفهوم ، ومشكور » : إنها على وزن مَفْعُول ، وتقول فى نحو « أكْرَمَ ، وأحْسَنَ ، وأعْلَنَ » : إنها على وزن أفْعَلَ ، وتقول فى نحو « انْطَلَقَ ، وانْكَسَرَ ، وانْشَعَبَ » : إنها على وزن انْفَعَلَ ، وتقول فى نحو « تَقَدَّسَ ، وتَنَزَّهَ ، وتَقَدَّمَ » : إنها على وزن تَفَعَّلَ ، وتقول فى نحو « استغفر ، واستخرج ، واستأمر » : إنها على وزن اسْتَفْعَلَ . وهكذا .

وإذا حَدَثَتْ فى الكلمة زيادتان كل واحدة منهما من نوعٍ لاحَظْتَ فى كل واحدة حكمَهَا الخاص ؛ فتقول فى نحو « سَجَنْجَلٍ ، وعَقَنْقَلٍ » : إنهما على وزن فَعَنْعَل ، وتقول فى نحو « اغْدَوْدن ، واعْشَوْشَبَ » : إنهما على وزن افْعَوْعَلَ[1] .

وإذا حصل فى الموزون إعلال : كقَلْب عينه أو لامه ألفاً — جئت بالميزان على حسب أصله قبل الإعلال ؛ فتقول فى نحو « قَالَ ، وبَاعَ ، وقَامَ » : إنها على وزن فَعَلَ ، ولا يجوز أن تقول : إنها على وزن فَالَ ، وتقول فى نحو « غَزَا ، ودَعَا ، وسَمَا ، ورَمَى » : إنها على وزن فَعَلَ ، ولا يجوز أن تقول : إنها على وزن فَعَا .

لكن إذا حصل فى الموزون حَذْفٌ لزمك أن تحذف من الميزان ما يقابله ؛

(١) فى سجنجل وعقنقل زيادتان : النون ، وهى من النوع الثالث ، وتكرار عين الكلمة ، وفى اغدودن واعشوشب زيادتان : الألف والواو ، وهما من النوع الثالث ، وتكرار عين الكلمة أيضا . وقس على ذلك .

فتقول فى نحو « قَاضٍ ، ودَاعٍ ، وغَازٍ ، ورَامٍ » : إنها على وزن فَاعٍ ، وتقول فى نحو « عِدَةٍ ، وزِنَةٍ ، وهِبَةٍ » : إنها على وزن عِلَةٍ .

وإذا حصل فى الموزون قَلْبٌ مكانى — بتقديم بعض حروفه على بعض — وجب أن تصنع فى الميزان مثل ما حدث فى الموزون ؛ فتقول فى نحو « قِسِىّ » : إنها على وزن فُلُوع — بتقديم اللام على العين — وذلك لأن الأصل « قُوُوس » لأنه جمعُ قَوْسٍ ، فنقلت السين — وهى لام الكلمة — موضع الواو الأولى — وهى عين الكلمة — فصار « قُسُوو » ثم وجدت الواو — التى هى العين — متطرفة فقلبت ياء ؛ فصار « قُسُوىٌ » فاجتمع فى الكلمة واو وياء وسَبَقَ أحدهما بالسكون ؛ فقلبت الواو ياء ، ثم أدغمت الياء فى الياء ؛ فصار « قُسُىّ » ثم قلبت ضمة السين كسرةً لمناسبة الياء ؛ فصار « قُسِىّ » ثم قلبت ضمة القاف كسرةً لثقل الانتقال من الضم إلى الكسر ؛ فصار « قِسِىّ »[1] .

(١) غير أن بين قلب ضمة السين كسرة وقلب ضمة القاف كسرة فرقا ، وذلك أن قلب ضمة السين كسرة واجب ؛ لأن الضمة لا تناسب الياء ، وقلب ضمة القاف كسرة غير واجب : لأن الانتقال من الضم إلى الكسر لا يمتنع . وفى العربية له أمثال ، ولكنه ثقيل ، وهذا الثقل يقتضى التخفيف .